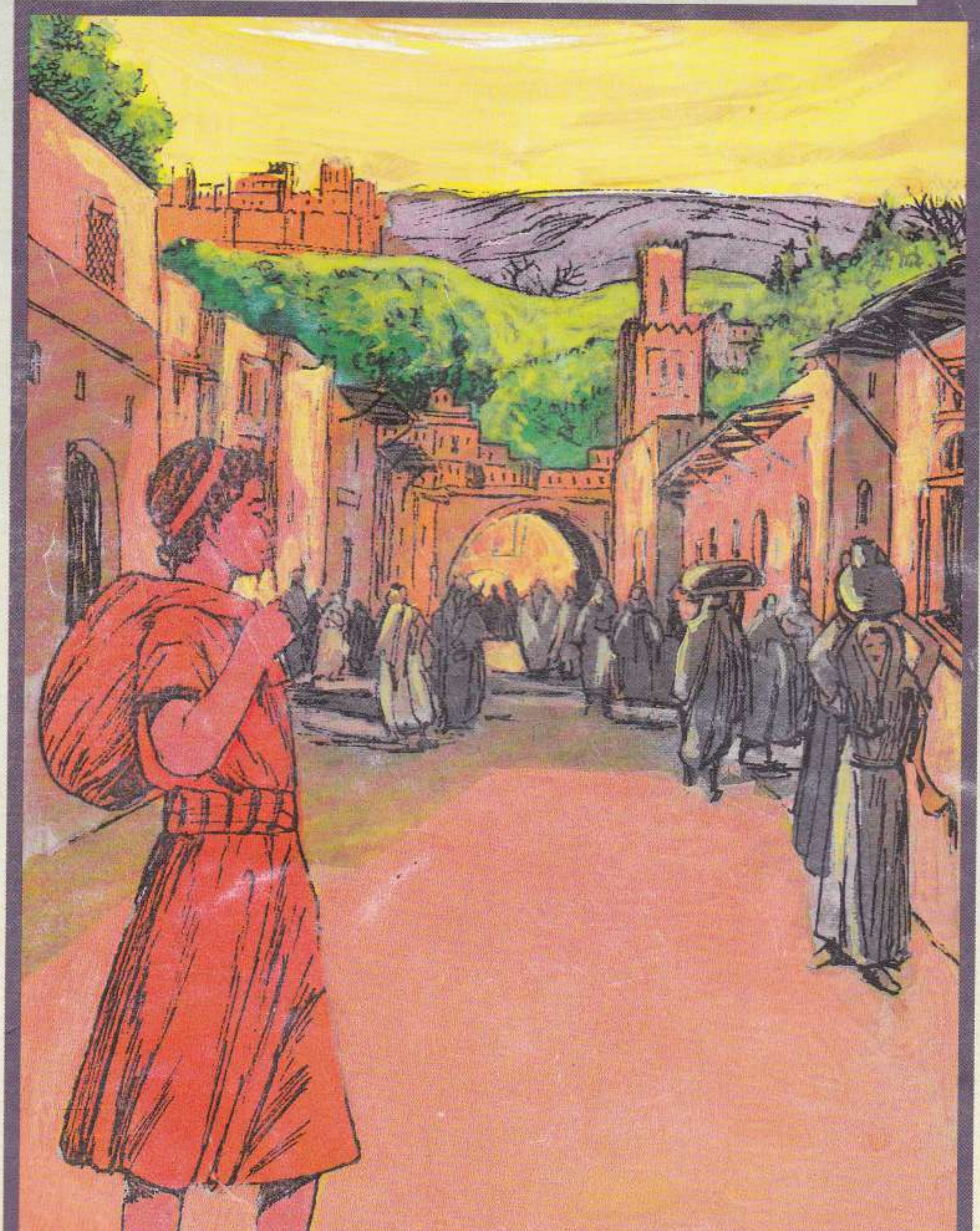
سلسلة حكايات السمر

١٤

زكريّا كايا

جَاحِدُ النِّعْمَةِ



دَارُ الجيل

بيروت - القاهرة

سِلسِلة
حِكايات
السَّمَر
(١٤)

جَاحِدُ النِّعْمَةِ

تأليف ورسوم
زكريّا كَايَا

دارُ الجيل
بيروت - القاهرة

جَاحِدُ النِّعْمَةِ

في قديمِ الزمانِ، وسَالفِ العَصرِ والأوانِ، كان يَعيشُ في مَدينةِ المُوصِلِ تاجرٌ غنيٌّ، في قَصرٍ كَبيرٍ مِثلِ قُصُورِ الأُمراءِ، تَترامى حَدَائِقُه وجَنَائِنُهُ إلى مِياهِ نَهرِ دجلةَ.

وكانَ لهَذا الثريِّ صَبيٌّ أوحدُ يافعٌ **أَمْرَدُ** وهو في مطلعِ شبابِهِ. حَصرَ الثريُّ هَمَّهُ ليكونَ ابنُهُ قُدوةً في الأخلاقِ والعِلمِ والأدَبِ، فَجَمَعَ له أحسنَ المُرَبِّينَ والمُعَلِّمِينَ مِن كلِّ فَرعٍ من فُرُوعِ الثقافةِ والتَهذيبِ حتَّى صار قدوةً بَين أترابِه ومثالاً، وكان مُطيعاً لا يَخرُجُ على أبيه في أيِّ أمرٍ، كما لا يُذْعِنُ له في كلِّ أمرٍ، إنَّما اعتادَا أَن يُجرِيا النقاشَ والحوارَ عندما يعرضُ لهما أمرٌ يُقتضَى الفَصْلُ فيه.

وكانَ هذا الصَبيُّ رَفيقاً بالخَدَم والغِلمَان يُعامِلُهُم بالحُسْنَ ولا يَقسُو عليهم أو يَنهَرُهم، بَل كانَ يُوَجِّهُهم ويَرأفُ بهم،

ويُغْدِقُ عَليهم، ولهذِه الأسبابِ كانَ **أثيراً** عندَ الجَمِيعِ ومُحبُوباً مِنهم يَتَدافَعُون لِخِدمَتِه.

وكانَ التاجرُ من أعيانِ المُوصل، يزورُه كِبارُ رِجالِ الدَولةِ وحَاشيةُ السُلطان فيُكرِمُهم **ويُطرُون عَليه**، وكانُوا دَائماً كلَّما انصَرَفُوا مِن مَأدَبةٍ أقامَها لهُم حَلَّفوه وَأَلَحُّوا عَليه بأعظمِ الأَيمانِ وقالوا له:

- يا أبا منير لا تُوَفِّرْنا في حَاجتك، فأقلُّ شَيءٍ نفعَلُه هو أن تُمَكِّنَنا من أن نَرُدَّ بعضَ جميلِكَ علينا.

فيبتسمُ التاجرُ لهُم ويقولُ:

- أنتم ذُخْري وكَنزي، أَنتم أصدِقائي، ولكنْ، لا أَحوَجَني الله إلى مُسَاعَدَتِكُم...

فيأخذُون كلامَه على سَبيل المُزاح ويُقَهْقِهُون وهُم يغادِرُون ويتوزَّعُون في شَوَارع وأزِقَّةِ المُوصِل إلى دُورهم وَمَسَاكِنِهِم.

وكانَ هذا التاجرُ الموسِرُ قد اقتَصَر تِجارَتَه عَلى الاتِّجارِ بالحَرِير وأثمنِ القُماشِ ولا يَتَعَدَّاه إلى غَيرِه، لذلكَ كان مُعظَمُ زبائِنه مِن الأُمراءِ والسَلاطينِ وأثرياءِ البلاد.

وكانت تجارتُه واسِعةً جِداً يَأتِيه الحَريرُ من الصِينِ، وتَأتيهِ الأقمشةُ من الهِند، وتَحمِلُها قَوافِلُه إضافةً إلى ما كان يَتمُّ صُنْعُه في المُوصل إلى أقاصِي البلاد: إلى القسطَنطِينيَّةِ وإلى الإسكَندريَّةِ ومِصْرَ، كما إلى الأندلسِ وغيرِها منَ البلدانِ الكثيرة. فهو يُتْقِنُ تِجارتَه، كما يَستخدِمُ أمهرَ الصُنَّاعِ عندَما يتعلَّقُ الأمرُ بالأُمراءِ والسَلاطينِ وما يرغَبونَ، فَيَسْتَعْمِلُ خُيوطَ الذَهَبِ والفِضَّةِ بإتقانٍ قلَّ نظيرُه، كما **يَبتدعُ** له الرسَّامُونَ أحسَنَ الأشغَال...

وكان في جُملةِ مَن يَقُومُ في خِدمةِ الثَريِّ وأُسرتِه، غُلامٌ اسمُه «مُدْبِر» غير أنَّ أهلَ الدَارِ وقد كانُوا على جَانبٍ كَبيرٍ من الرِفعَةِ في الذَوقِ، لم **يَسْتَسِيغُوا** الاسمَ **النشَازَ** هذا يَتردَّدُ في

رِحابِ القَصر وحدائِقِه، وهو نعتٌ يُثيرُ الهُزْءَ والسُخرِيةَ، فَقَلَبُوهُ إلى «مُقبِل» وأجَبَروا الجَميعَ على التقيُّدِ بذلك، ظناً مِنهم بأنّه قَد يكونُ لذلكَ وَقْعٌ خاصٌّ عندَ الغلامِ فينشأُ في كَنَفِهم أحْسَنَ نَشْأةٍ.

وخَصُّوا هَذا الغُلامَ بِخدمةِ ابنِهِم وَوَحِيدِهِم مُنيرٍ يُلَبِّي له رَغَباتِه، ويَلعبُ معه سحابةَ النهارِ وكلما اقتضَتْ للصبيِّ حَاجة.

ومعَ مُرُور الأيامِ صَار اسمُ مُقبل عَلى كلِّ لسانٍ، وصار الغُلامُ بمَكانةِ ابنِهم، فكانُوا يُعَامِلُونه أحسَنَ مُعامَلَةٍ ويُغدِقُون عَليه كلَّما سنحَتِ الفُرصةُ لهُم بذلك.

وكان منير ومُقْبِل في سنٍ مُتَقَارِبَة، ولهذا السببِ توثَّقتِ الصِّلاتُ بينهما فصارا لا يَفترقانِ ويُمضِيَانِ ساعاتِ اللَهْوِ على أحسن حالٍ وأكمل انسجامٍ، ولم يشعُرِ الغلامُ مقبل أنه في مَنزلةٍ أدنَى من مَنزلة تِرْبِهِ مُنير، كما لَمْ يَسْمَعْ منه ولو بالسهوِ



والخطأِ مرةً ما يُشير إلى ذلك بالرُغمِ من أنَّ الغُلامَ كان مَملوكاً اشتراهُ التاجرُ من **النَخاسةِ** ذاتَ يومٍ وهو حَديثُ السِنِّ لم يُكمِلِ استِبْدَالَ أسنانِ الحَليبِ في فَمِهِ.

وكانَ الغُلامُ مُقبل يُضمِرُ في نفسه شيئاً آخرَ ليس يَهُمُّهُ الكرمُ الذي أحاطه به سيّدُه ولا اللطافةُ التي لم يُعامَلْ بغيرها، إنما كان الحسدُ والحقْدُ يَكمُنانِ في أعمَاقِه؛ فهو كلَّما اختَلَى لِنفسِهِ حَدَّثَهَا وقال:

- اللعنةُ عَليَّ وعَلى اليومِ الذي خَرجتُ فيه إلى هَذه الدُنيا شَقِيّاً مَمْلُوكاً، فليسَ واللهِ على هَذه الأرضِ عَدَالةٌ؟!... لماذا يُولَد مُنير وفي فَمِه مَلعقةٌ من ذَهَبٍ وأُولَدُ أنا وفي عَينيَّ قَذًى ورَمَد؟..

ويُرسِلُ نَهْدَةً عميقةً، ويلتمعُ الحقدُ في عَينيهِ ويَتَفجَّرُ دَمعتينِ تَجرِيان على خَدَّيه قَبل أن يَستسلمَ لسُلطانِ الرُقادِ ويَنامَ على حُزْنٍ وَأَلَم.

وفي يومٍ من الأيَّام، حَدَثَ أنَّه خَرَجَ الثريُّ بأُسَرتِه إلى بُستانٍ لوَالي المُوصِل مُلَبِّيًا دَعوتَه وقد أصَرَّ الوَالي أن يقتصرَ الحُضورُ عَليه وعلى أُسْرَتِه وحاشِيَةٍ مُقَرَّبةٍ جداً منه، دونَ الغِلمانِ والخَدمِ وسِوَاهُم، لأنَّ سُلطانَ بغداد سيكُون ضيفَ شَرَفِ هذه المَأدُبة. . .

مَكثَ مُقبل في جُملةِ الخَدَمِ والغِلمانِ في القَصر ولم يرافِقْ تِربَهُ، **فاستبدَّ به** الحِقْدُ الدَفينُ في أعمَاقِهِ، وعزَمَ على الانقِلَابِ عَلى وَضْعِهِ كلِّه؛ فرَاحَ يُفتِّشُ في حُجَرِ القَصرِ ومَخَادِعِه ودِيوانِه كَمَنْ يبحَثُ عن ضَالَّةٍ لا يعرِف كُنْهَها، حتَّى وَقَعَ نَظرُه عَلى كيسٍ فيه دراهِمُ نَسِيَ التاجرُ أن يجعلَه في خِزانَتِه الحَدِيديَّةِ، فتناوَلَهُ على عَجَلٍ وولَّى هَارباً مُبتعِداً عن القَصرِ، فاستقبَلَتْهُ البرّيةُ بعدَ أن عَبَر بسميريَّةٍ نهرَ دِجلةَ. وبعدَ حينٍ اختفَى وراءَ التلالِ **المشرئبَةِ** في الأُفُقِ وضَاع أَثَرُه.

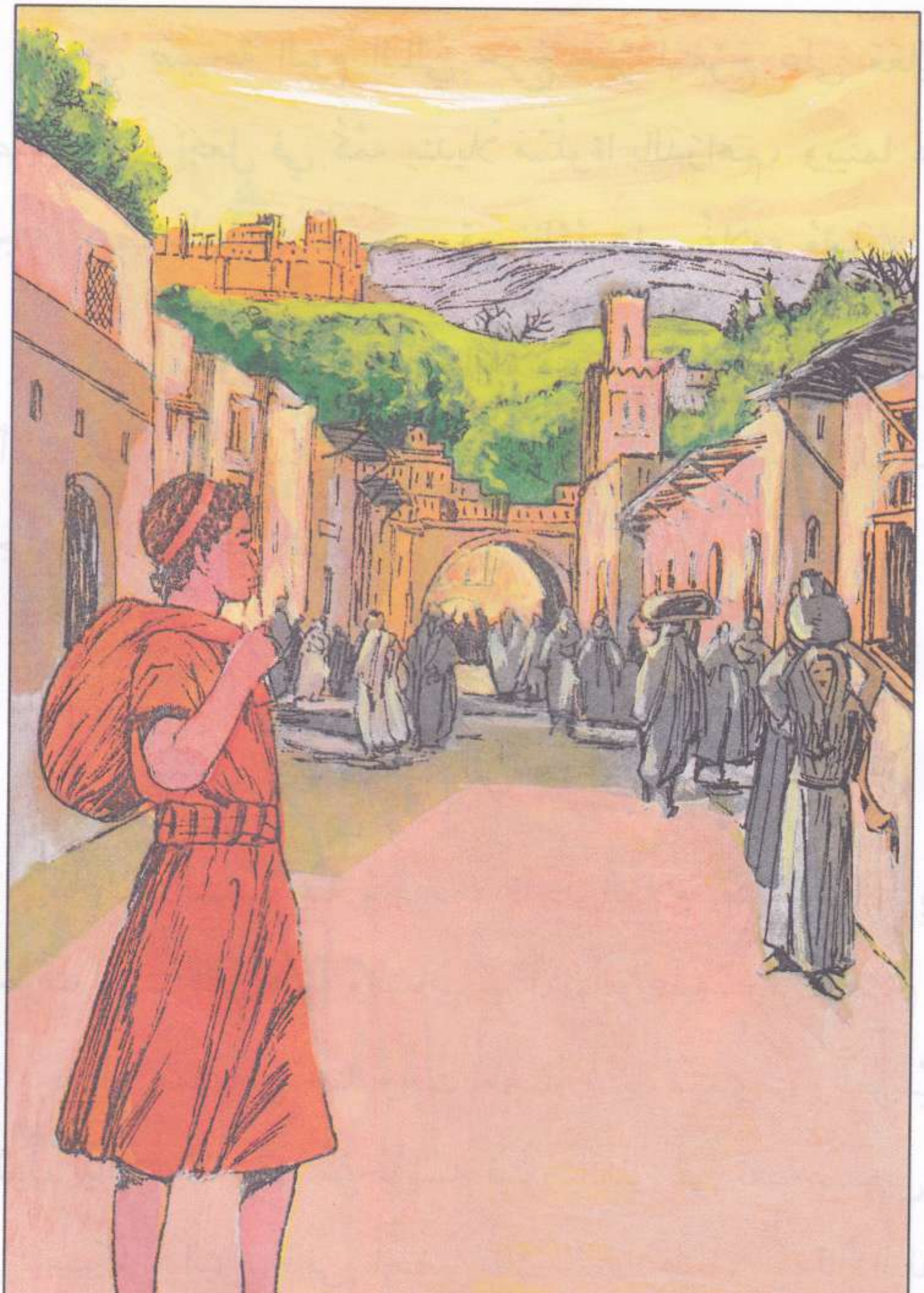
وعندَما عادَ الثريُّ وأُسرَتُه من المَأدُبَةِ استَفْقَدُوا الغُلامَ

«مقبل» فلم يَقِفُوا له على أَثَرٍ؛ فأفادَهُم بعضُ الخَدَم بأَنَّهم رَأَوْهُ يخرجُ من القَصر مُسرِعاً ولم يَرَوه بعد ذلك. فأيقَنَ الثريُّ بأنّ الغُلامَ قد ولَّى الأدبارَ وهَربَ، فلم يُحَرِّكْ ساكناً بل قال:

- هَذا شَأنُه، فنحنُ لم نُسِيءْ إليه، بل أكرَمْنَاهُ وعَامَلْنَاهُ بغايةِ اللُطف.

ومرَّت السنونُ، وطوَى النِسيانُ اسمَ مُقبل، حتَّى كان يومٌ طلبَ الابنُ من أبيه أن يخرجَ إلى **نصيبين** في نُزهةٍ وعملٍ: فهو يشتاقُ أن يَرَى الدُنيا وأَهلَها، كما تقضي المصلحةُ أن يَتفقَّدَ التجَّارَ ويتعلَّمَ منهم.

وفي اليومِ التَالي رَكِبَ مُنيرٌ دابَّتَهُ قَاصِداً نَصِيبِين، فَوَصَلَهَا بَعْدَ أيَّامٍ، فوجَدَها مدينةً جميلةً تَضيعُ دُورُها وعَمَاراتُها بين الأشجارِ والبَساتينِ. **فاستَقَلَّ** جَانباً من خانٍ وبَاتَ فيه لَيلتَه.



وفي صَبيحةِ اليومِ التَالي خَرَجَ منيرٌ ليتفرَّجَ على مَعَالِمِ نصيبين وقد جَعَلَ في كُمِّه مِنديلاً مَمْلُوءًا بالدَرَاهم، وبينَما هو يجتازُ بعضَ أسواقِ نصيبين وقع نظرُهُ على غُلامِه مُقبل.

فأسرعَ نحوَه، وحِينَ رآه الغُلامُ رَحَّبَ به أحسَنَ ترحيبٍ وأظهَرَ سُروراً عَظيماً، وراحَ يسألُه عن أبيه وأهلِه، والشابُ يُجيبُهُ ويُعلِمُه خَبَرَ مَنْ ماتَ ومَنْ بقي...

فقال الغلامُ:

- يا سيِّدي متَى دَخلتَ إليَّ ههنا، وفي أيِّ حَاجة؟

فأعلَمَهُ الشابُ عِلَّةَ وُجودِه، فأخَذَ الغُلام يَعتذرُ عَن هَرَبِهِ وسَرِقَتِه لكيسِ الدَراهِمِ، والشابُ يُهَوِّنُ الأمرَ عليه. وقال الغلامُ:

- أنا مُستوطنٌ هنا وأنت مجتازٌ، يا سيدي، والغريبُ تطولُ لَيَالِيهِ ولا يَجِدُ مَنْ يُؤْنِسُه فيثورُ القَلَقُ في نَفسه. تجيءُ إلى مَسكني اليوم فإني أُحضِرُ لك نَبيذاً طَيباً، وهذا البلدُ مَشهورٌ بصُنعِهِ، وغناءً حَسَناً لتُرَفِّهَ عن نفسِكَ في غُربَتِك.



فقالَ الشَابُّ:

- كما تَرَى!

فمَشَى الغُلامُ ومشَى الشَابُ خَلفَه، وطالَ الطريقُ فارتابَ الشابُ وسألَ:

- وَيْحَكَ أين بيتُك فقد صِرنا بعيدَيْنَ عن قلبِ المدينة؟

فابتسَمَ الغُلامَ ابتسامةً ماكرةً وقال له:

- لم يبقَ سِوى خطواتٍ ونكونُ في الدار.

اجتازا نصيبين وصَارا في بعضِ بَسَاتينها وما يَزَالانِ يَمْشِيانِ فأخذَ الشابُّ يُبطِيءُ وَانْتَابَهُ خَوْفٌ من تَصَرُّف الغُلامِ مُقبل، ولكنَّه كَتَمَهُ وسَارَ يَلحَقُه حتى بَلغَ آخر نصيبين في دَربِ خَرابِ يقارِبُ البرّيةَ، فطرقَ باباً فخرَج رجلٌ ففتَحَ البابَ فدخَلا سَوِياً إلى الدَار وأُغلِقَ البابُ دونَهُما.

وحينَ صارا في الدَهليز المؤدِّي إلى دِيوانِ الدارِ الوَاسِعِ هُرِعَ رَجُلٌ نحوَ البابِ وَرَدَّه ردّةً عَنيفةً ثم **استَوْثَقَ** من غَلْقِهِ

غَلْقاً مُحْكَماً، فأنكَر الشَابُّ ذلكَ وَأدرَكَ بأنّه ضَحِيَّةُ مُؤامرةٍ دَنيئةٍ ساقَهُ الغلامُ إلى شِباكها. فَتَمالَكَ نفسَه ودَخل، فوَقعَ نظرُه على ثلاثينَ رَجُلاً مَصْطَفِّينَ على مُحيطِ جُدرانِ الدِيوانِ الأربعةِ وسِلاحُهُم ظاهرٌ للعَيان. السُيوفُ مَرمِيَّةٌ بغيرِ انتظامٍ أمامَهُم وخَناجِرُهم في **مَناطِقهم**. وعندَما لمَحَهُ اللُّصُوصُ مزَّقُوه بأنظارِهِم والشَرَرُ يَتَطَايَرُ من أحداقِهم، فعرِفَ أنَّهم عِصابةٌ من اللُصُوصِ الخَطِيرِينَ، وأن الغلامَ «مقبل» **عينٌ** لهم. فأيقنَ **بالبليّةِ** وبالشرِّ وسُوءِ المَصِير.

- انْزَعْ ثيابَك.

فطرَحَ كلَّ ما كان عَليه إلا السَرَاويلَ، وقد ألحَّ عَلَيهم بِتَرْكِها سِتراً له فترَكُوه، وحلُّوا مِنديل كُمِّهِ، وأخرَجُوا منه ثلاثينَ درهماً وقالُوا لمُقبل:

- امضِ وهاتِ لنا شيئاً نأكُله.

فتقدَّم مقبل وهَمَسَ في أُذُنِ أحَدِهِم وَهُو رئيسُهم، فقال الرئيسُ بصَوْتٍ مَسْمُوع:



- لا بُدَّ من قَتلِه، هَيَّا احْضِرْ لنا ما نأكُل، فإذا جئتَنا به قتَلْناه.

فصرَخَ الغُلام بصَوتٍ غاضِبٍ:

- لا أَمضِي قبل أن تقتُلُوه!.

فتمالَكَ الشابُّ رَباطةَ جَأْشِهِ وقالَ لهم:

- يا قومُ ما ذَنبي؟ وَلِمَ أُقتَلُ؟ قَدْ أَخَذْتُم مَالي وَثِيابي، فدَعُوني أذهَبْ إلى حَالِ سَبيلي...

ثم التَفَتَ نحوَ مُقبل وقال له:

- هذا مِن حَقِّي يا مُقبل، وحقِّ أبي، وَيْحَكَ ألا تَرْحَمُني؟!...

فصرخَ مُقبل صَرخةً عظيمةً وقال:

- إنكم إن لم تقتُلُوه، خرجَ ونبَّه عليكُمُ الوالي فَيقتلُكُم كلكم. فجذَبه أحدُهُم وقدِ امتشَقَ سَيفَه مُجَرَّداً وسَحَبَهُ مِن صَدْرِ الدارِ التي كانُوا فيها إلى بَالوعةٍ تجري مياهُ نَهرِ **الجَغْجَغ** من تَحتها وهَمَّ ليذبَحَهُ عليها.

فوقعَتْ عينُ الشابِّ المُوصِلِيِّ عَلى غُلامٍ كانَ في جُمْلتهم، وكانَ في مثلِ سِنِّه فتوسَّلَ إليه وقال له:

- إرحَمْني! فأنتَ غلامٌ في مثلِ سنّي، وإنْ خَلَّصْتَني مِن يدِ هؤلاءِ وأجَرْتَني، فَلَكَ أجرٌ عنده تَعالى تَدْفَعُ به البَلاءَ عن نَفسِك.

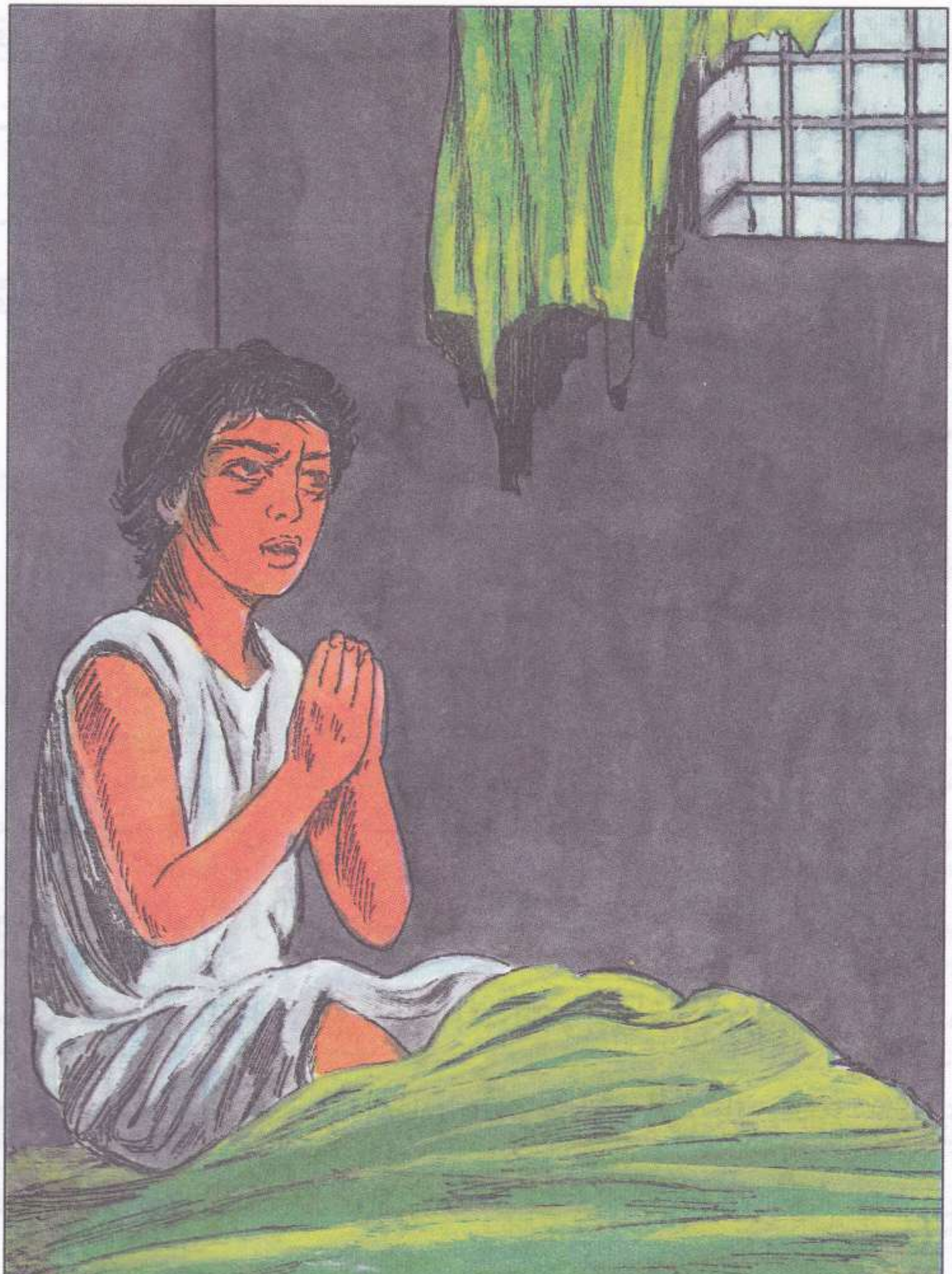
وبكَى الشابُّ وانتَحَبَ وهو يَحلفُ بأنه لن يُنَبِّهَ عَليهم أَحَداً أبداً، ولن يَفُوهَ بكلمةٍ عنهم إن هُم تَرَكُوه. فنهَضَ ذلك الفَتَى ورَمَى بنفسِه عَليه وقال:

- واللهِ، لا يُقتلُ وأنا حيٌّ، فإما قَتَلْتُمُوني قبلَه، وإلاّ فلا تَقْتُلوهُ!

وتعصَّبَ له أستاذُه وقال:

- غلامي أجارَه، فلا تَقْتُلُوهُ.

فَشَتَمُوه، وشَتمُوا غُلامَه، وَتَعَصَّبَ للمُستَجيرين جَماعةٌ منهم واندَفَعُوا وخَلَّصُوه وابتَعَدُوا به من البَالُوعَةِ المَشْؤومَةِ،



وقد كادَ الرجُل أن يذبَحه عليها. فأجلَسُوه في وَسَطِهم وجَلَسُوا من حَوله، بينَما كانَ الآخَرُونَ يَشتُمُون الغُلام، ولكنَّ الحُمَاةَ ظلُّوا على حِرْصِهم عليه ومَنَعُوا عنه القتلَ وقالوا:

- نحنُ جِياعٌ، فَأْتُونا بِشَيْءٍ نأكُلْه وقتلُ هذا لا يَفُوت.

فقالَ له الباقونَ ما قاله الحُمَاةُ فكَفُّوا عنه.

ومضَى مُقبل واشتَرَى خَمسينَ رأساً ـ «بانشا» أو «نيفا» كما يعرَّف الرأسُ ـ وخبزاً كثيراً وجبناً وزَيتوناً وجَاءَهُم به فجلسُوا يأكلونَ والمُوصِلِيُّ الشابُّ يتخوّفُ أن يَتَغَافَلَهُ منهم إنسانٌ فيقتُلُهُ غدراً. فَأَوْمَأَ لذلكَ الفَتَى ولغُلامِهِ فترَكَا مَكانَهُما وجلسَ هو وأستاذُه يَحفِظانِ المُوصليَّ إلى أن فَرَغَ جماعةُ اللُّصُوصِ من الأكلِ، فَوَكَّلا به قَوماً من ثِقاتِهما مِمَّنْ فَرَغَ من الطَعَامِ وعَادَا يُتَابِعَان الأكل، وَاسْتَدْعَيَاهُ للأكلِ مَعَهُما، فأرادَ المُوصِليُّ إيجابَ الذِمَامِ عَليهما، أي: أن يصيرَ بينهم خبزٌ

ومِلْحٌ، فأكَلَ معَهما أكْلَ مُعْرِضٍ، لقمةً واحدةً أو لُقْمَتَيْنِ بلا شَهوةٍ، وهو يَرتَعِدُ خَوفاً وهَلَعاً.

وبعدَ أنِ انتَهَى الطعامُ قامَ مُقبل وقالَ وكأنَّ له ثأراً عند الشابِّ البريءِ:

- الآنَ أَكَلْتُم، وتَرْكُ هذا الفَتَى خَطَأٌ يُؤَدِّي بنا جَميعاً للهَلاكِ فاقْتُلُوهُ.

فعادَ الكلامُ في قَتلِ المُوصِلِيِّ، وأقبلَ هؤلاءِ يمنَعون. وتزايَدَ الأمرُ إلى أن جرَّدَ بعضُهُمُ السُيُوفَ على بعضٍ وجعَلَ المُدَافِعُونَ عن المُوصِليِّ الشابَّ وراءَهم وأقبَلُوا يُجَادِلُونَ ويَذُودُونَ عنه، وأولئك **ينخسُونَهُ** من خَلفهم بأطرافِ سُيوفِهم، والشابُّ الموصلي يجتهدُ في تجنُّب أذاهُم ويَتعَلَّقُ بالمُدَافِعِينَ عنه مِن حَلاوة الرُوح، خوفاً مِن أن يَصِلَ إليه المُهَاجِمُونَ فيقتلوه، وهو يَحلُفُ لهم صَارخاً بأنه إذا سَلمَ لن يُنَبِّهَ عليهم. واستمرَّ الحالُ حتى كادُوا يَتَجارحُونَ. فتَدَخَّلَ البعضُ في الأمرِ وقَالُوا:

- لا يكونُ هذا الفتَى سَبَباً لاقتِتَالِنَا وخِلافِنا فيما بيننا، فيكون شؤمًا علينا، فدَعُوه.

فتَوَافَقُوا على الكَفِّ عن المُوصِلِيِّ وجلسُوا يَشرَبُونَ. فلمَّا أرَادُوا أن يَخرُجُوا قبلَ الفَجرِ قالوا:

- يتوكَّلُ له مَنْ يَتَعَصَّبُ له حَتَّى نخرجَ نحنُ، فإن صاحَ، ابتلي به مَنْ خَلَّصَه.

فقالَ الفَتَى وَأستَاذُه للشَابِّ المُوصِلِيِّ:

- قد سمعتَ يا فتى، فلا تُكَافِئْنَا على جَميلِنا بقبيح.

فحَلَفَ لهمُ الشابُّ بالله بأنه لن ينبِّهَ عليهم أحَداً، فخرجتِ الجَمَاعةُ إلاّ الغلامَ وأستاذَهُ فلما بعُدَتِ الجماعةُ وسَادَ الصَمْتُ والسُكونُ عَقِبَهَا، عندَها خَرَجَا معاً.

وعندَما صارَ الفَتَى وَحيداً أغلقَ البابَ وترَّسَه ووَقَعَ مَغشياً عليه. ولم يُفِقْ من غِشْيَتِهِ إلاّ عِندَما لَحِقَهُ بَردٌ قارسٌ أرعَدَ فرائِصَهُ وقد كانَ السحَرُ، وسمعَ صوتَ الدبادبِ تُوقِظُ

الوالي من نَوْمِهِ، فخرَجَ عرياناً يَجري في أَزِقَّةِ نصيبين وشَوَارِعِها حتَّى وَصَل الى الخانِ.

ولشدَّة فَزَعِهِ جَمَعَ أغراضَه على عَجَلٍ وغادَرَ الخَانَ وعَادَ حَثيثًا الى المُوصِل، وقد آلَ على نَفسِهِ بألاَّ يَمضي الى مَوْضعٍ لا يعرِفُهُ، ولا يوافقُ مَنْ لا يعرفُ باطِنَهُ، وحمَدَ الله على سَلامته.

وعندَما صَار بينَ أهلِهِ لم يحادِثْ أحَداً عنِ الحادثِ لبقيَّةِ فَزَعٍ في نَفسِه. وانقضَتْ سَنَةٌ أو قريبٌ منها على هذه الحَادِثَة.

وفي أحدِ الأيامِ صَدَفَ أن كانَ الشابُّ عندَ صَاحِبِ الشُرطةِ بنصيبين لصداقةٍ بينه وبين وَالدِ الشابِّ المُوصِليِّ من أيام وُجُود صَاحِب الشُرطةِ في المُوصِل، فلم يلبَثْ أن أَحَضَرَ بعضُ الجُندِ جماعةً من اللُصُوصِ لحضرةِ **صاحبِ الشُرطةِ**

وقد عثر عليهم الطَوْفُ ـ أي الدوريَّات ـ في قَريةِ زندا القريبةِ من نصيبين، وتَمكَّنوا من إلقاءِ القبضِ عَلى سَبعةِ أنفارٍ مِنهُم بعدَ أن هَرَبَ الباقونَ، فوقع بَصَرُ الشابِّ الموصليِّ على ذلكَ الغُلامِ الذي أجارَهُ وعَلَى أستاذِهِ وعلى مُقبل؛ فأَخَذَتْهُ الرَعْدَةُ وبانَتْ عليه، وأَخَذَ صاحبُ الشُرطةِ مُقبلاً مِن بَينهم ثمَّ التفَتَ إلى الشابِّ الموصليِّ وقد رأى حَالَهُ فسأله قائلاً:

– ما لك تَرتَعِدُ؟

فقال الشابُّ:

– إن حَديثي طويلٌ، ولعلَّ الله أرادَ بحُضوري هذا المجلسَ، سعادةَ البعضِ وشقاءَ البعضِ الآخَرَ.

فألحَّ صاحبُ الشرطةِ على الشابِ بالحَديثِ والإفصَاحِ عن سِرِّه دونَ خَوفٍ ولا وجلٍ؛ فحَدَّثَه الشابُّ بما جرَى له تماماً مع القَوْم فتعجَّبَ وقال:

- هلاَّ شَرَحْتَها لي مِن قبلُ وأنتَ في ضِيافتي منذُ أيامٍ على ما بَيني وبَين أبيكَ مِن موَّدَةٍ وصداقةٍ، حتى كنتُ أطلبُهم وانْتَصِفُ لكَ مِنهم؟!.

فقالَ الموصليُّ:

- إن الفزَعَ الذي كان في قَلبي منهم لم يُمَكِّنْ لِسَاني من البَوْحِ والكَلامِ.

فسألَ صاحبُ الشرطةِ وقال:

- من ذا الذي كان معكَ مِن هَؤُلاء؟

فقال الشابُّ:

- الغلامُ وأستاذُه، وواحدٌ من البَاقِينَ.

فأمرَ بِحَلِّ **كِتافِهم** وَتَمييزِهم من بين أصحَابِهِم ودَعَا مُقبلاً وقال:

- ما حَمَلَكَ على ما فعلتَ بابنِ سيِّدك؟

فقال مُقبل:

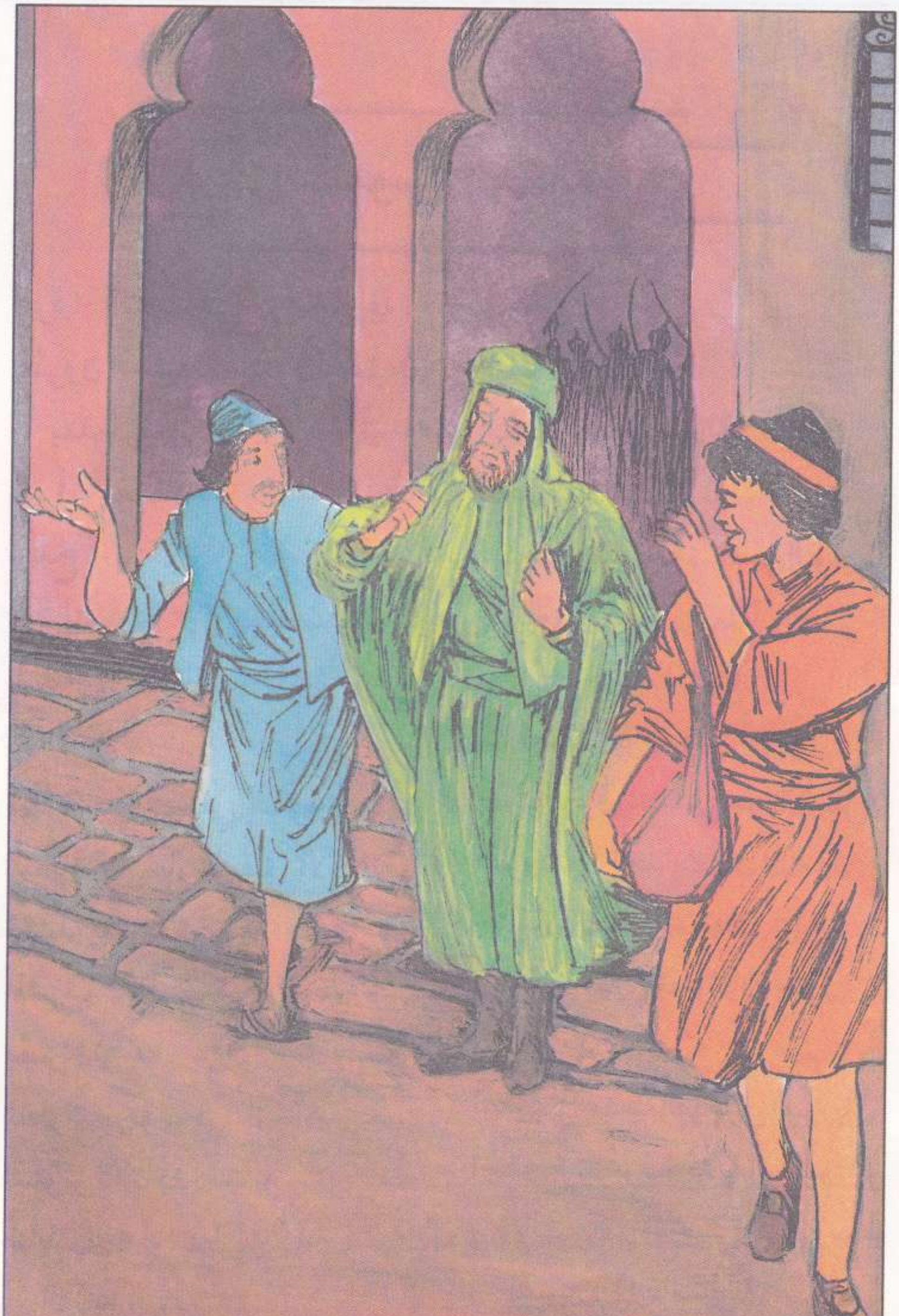
- سُوء الأصلِ، **وخَبَثُ العِرْقِ**، **وصُروفُ** الزمان.

فأمرَ به فضُرِبَ عُنُقُه وأصحابَه البَاقِينَ، ودَعَا الغلامَ وأستاذَه وصاحبَهما وقال:

- لقد أحسَنْتُما في دَفْعِكُما عن هذا الفَتَى، واللهُ يُجزِيكُما عن فِعْلِكما الخيرَ، فتُوبا إلى الله من فِعْلِكما وَانصَرِفا في صُحبةِ الله مع صَاحِبِكُما، ولا تَعُودا إلى ما كُنتما عليهِ من التَلَصُّص، فقد مَنَنْتُ عليكُما لحُسْنِ صَنيعكُما مع هَذا الفتى، فإن ظَهَرَتْ عليكُما ثانياً أَلْحَقْتُكم بأصحَابِكُم.

وشكرَ الشابُ صاحبَ الشرطةِ، وحمَدَ الله على تَوفيقِه لقضاءِ مَنْ أجاره والانتقامِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، ثم صارَ إلى ذلك الغلامِ وأستاذِه وسألهما أن **يختَلِفا إليه** وأمَّنَ لهما عَمَلاً شريفاً **يرتَزِقَان** منهُ بعدَ أن عادَ إلى أهله في المُوصل.

وعرّف الجميعَ بقصتِه وجَعَلَ الفَتَى وأستاذَه تحتَ رعايته بعدَ **أن عَزَفَا** عن التَلَصُّصِ وَارتِكابِ الآثام.



قاموس الحكاية

أمرد: الشاب في أول بلوغه.
يطرون عليه: يُثنون عليه، يمدحونه.
أثيراً: مفضَّلاً.
يبتدع: يبتكر.
لم يستسيغوا: لم يستحسنوا.
النشاز: الشاذ، الذي يزعج الأذن.
تِربُهُ: مَنْ هو في عمره.
النخاسة: تجار الرقيق الأبيض.
استبدّ به: تمكّن منه.
المشرئبَّة: المرتفعة.
يمَّم: توجَّه.
شطر: نحوَ، في اتِّجاه.
استوثق: تأكّد.
مناطقهم: أواسط أجسامهم عند الزنّار.

عينٌ لهم: جاسوسٌ لهم.
البليَّة: المصيبة.
امتشق سيفه: جرَّده وحَمَلَهُ.
ينخسونه: ينكزونه.
صاحب الشرطة: مدير البوليس بِلُغَتِنا اليوم.
وَجَل: خوف، فزع.
كتافهم: قيودهم.
خبثُ العِرق: بمعنى سوء الأصل.
صروف: أحداث.
يختلفان إليه: يتردّدان عليه.
يرتزقان منه: يعتاشان منه.
عزف: ترك.
نصيبين: مدينة القامشلي (سوريا).
الجغجغ: عُرف قديماً باسم نهر «الهرماس» يجري في وسط نصيبين (القامشلي).

أسئلة

١ - في فَهْم الحكاية

١ - كيف كانت تربية الثريِّ لولده منير؟

....

....

٢ - هل لكَ أن تعطينا رأياً في ما اعتاد أن يعامل به الوالدُ ابنَه؟

....

....

٣ - ماذا عنى التاجرُ في ردِّه على أصحابه: لا أَحْوَجَني الله إلى مساعدتكم؟

....

....

٤ - من هو «مُدبر»؟ وكيف ولماذا أصبح «مُقبل»؟

....

....

٥ - ما هي أسواق النخاسة؟ وهل لها وجودٌ في يومنا هذا؟

....

....

٦ - هل كان «مقبل» يقابل الحسنَ بمثله؟

....

....

٧ - لماذا بدا الأهلُ مرتاحي الضمير لدى هروب مقبل؟

....

....

٨ - كيف أبدى مقبل عن سوء طويَّتِهِ عندما التقى ابنَ سيِّده؟

....

....

٩ - إلى أيِّ حدٍّ بلغ مقبل في التعبير عن سوء طويَّته؟

....

....

١٠ - تعلِّم الأديانُ السماويَّة أن الحسنة لها جزاؤها، وأن السيِّئة لها عقابُها. أعطِ دليلاً على ذلك من هذه القصة؟

....

....

٢ - في اللغة والتعبير

١ - أعطِ معاني المفردات التالية:

يذعن: .... يتدافعون: ....

أزقّة: .... في كنفهم: ....

سحابة النهار: .... يغدقون عليه: ....

يكمن: .... قذى: ....

أيقن: .... المضارب: ....

البلاء: .... أجاره: ....

٢ - ما الفرق بين:

- عاد: ....

- اعتاد: ....

- اعتدى: ....

- عدَّى: ....

- عدا: ....

٣ - استعمل لفظة «رفيق» بمعنيين مختلفين في جملتين مفيدتين.

- رفيق: ....

- رفيق: ....

٤ - ألِّف جملاً مفيدة من كل من:

- كان ينهرهم: ....

- قدوة بين أترابه: ....

- يتدافعون لخدمته: ....

- لا يتعدَّاه إلى غيره: ....

- يغدقون عليه: ....

- توثقت الصِلاتُ: ....

٣ - في القواعد

١ - ماذا تسمي هذا الاسم: زهراء؟

....

٢ - ما هو جمع الجموع؟ أعطِ مثلاً.

....

....

٣ - ما هو منتهى الجموع؟ أعطِ مثلاً.

....

....

٤ - كم صيغةً للأمر؟ أعطِ أمثلة.

....

....

٥ - ما الفرق بين لا النافية ولا الناهية؟ أعطِ أمثلة.

....

....

٦ - اعرب ما يلي: لا توفِّرْنا في حاجتك ـ يلبِّي له رغباتِهِ.

سِلسِلة حِكايات السَّمَر

تَغُوصُ في التَّاريخِ، تُحيي شَخصيَّاتِهِ، في سِيَاقٍ قَصَصِيٍّ مُمْتِع رَاعَيْنا فيه قُدرَةَ الوَلَدِ على الاستِيعَابِ، لُغَةً ومعلوماتٍ، لإيصاله إلى استِنتاج العِبَرِ التي يتحرَّكُ الأشخاصُ بوَحْيها. وقد رَبَطْنَا كلَّ قِصَّة بواقِع التحصيل المدرسيِّ فأَلْحَقْنَا بها قاموساً للمفرداتِ وأسئلةً متنوِّعةً تحرِّك الذهنَ، وتدفعُ الولدَ إلى التفتيش والتقصِّي.

تتضمَّن هذه السلسلةُ العناوينَ الآتية:

١ - شنُوحي المغامر
٢ - صَولجانُ فرعون
٣ - بَلاغةُ فلَّاح
٤ - التاجرُ الجاسوسُ
٥ - عنفوانُ المروءة
٦ - القائدُ المؤمنُ
٧ - الشقيقُ الماكرُ
٨ - اللِّصُّ والعجوزُ
٩ - عاقبةُ الظالم
١٠ - سلطانُ الصبر
١١ - طيشُ المتَرفين
١٢ - اللِّصُّ الظريفُ دُكين
١٣ - الوفاءُ كنزُ الصداقة
١٤ - جاحِدُ النعمةِ
١٥ - العُودُ الهنديُّ
١٦ - جاسُوسُ الخليفة
١٧ - الأميرُ وابنُ النبيل
١٨ - العيَّار والمُغَفَّلون
١٩ - صُذرَةُ الملوك
٢٠ - غرائبُ الصُّدَفِ